Tarawneh
٨٨٠٦٠Kandemir

مدرسة الحديث في القيروان

من الفتح الإسلامي
إلى منتصف القرن الخامس الهجري

تأليف
الحسين بن محمد شواط

الجزء الأول

الدار العالمية للكتاب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الدار العالمية للكتاب الإسلامي
الرياض - ت ٤٦٤٧٢١٣ - ٤٦٥٠٨١٨

الطبعة الأولى - ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت بقاعة المحاضرات في كلية أصول الدين بالرياض بتاريخ ٢٨/١٠/١٤٠٧ هـ.

وأجيزت بتقدير «ممتاز» من قبل اللجنة:

د. أحمد معبد عبدالكريم / مشرفاً.

د. محمد أديب الصالح / مناقشاً.

د. أبو لبابة الطاهر حسين / مناقشاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدتي ووالدي العزيزين، اللذين شجعاني على طلب العلم، وتكبدا المشاق من أجل تعليمي بكل صبر، سائلاً المولى عز وجل أن يحسن خاتمتهما ويكرمهما في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المؤلف

المقدّمة

وفيها:

- سبب اختيار الموضوع.
- قيمته العلمية وأهميته.
- أبرز الصعوبات التي واجهتني فيه.
- منهجي في إعداده.

* * *

المقدّمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصّمد، ذي النّعم الجزيلة، التي أعيت المحصين، والصّلاة والسّلام على خاتم المرسلين، محمد بن عبدالله، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، بدين الإسلام العظيم، وجعل معتنقيه خير أمّة أُخرجت للنّاس، ولم يَرضَ لعباده ديناً سواه، وقصر الفلاح، والفوز برضاه، على من اتّبع طريقة محمد ﷺ وما سار عليه الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وقد تكفّل الله عزّ وجلّ بحفظ هذا الدّين، فصان كتابه العزيز عن التّحريف، وعصمه من التّبديل، وهيّأ لسنّة نبيّه ﷺ رجالاً أفذاذاً التزموا بها، وقاموا بحفظها، وتدوينها، ونشرها، وشرحها، وحمايتها، من الدّخيل، وتمييزها من الشّوائب، والمنافحة عنها في مشارق الأرض ومغاربها، جيلاً بعد جيل، على مرّ الزّمان وتعاقب الشّهور والأعوام، أولئك هم أهل الطّائفة المنصورة، الذين لا يزالون قائمين على الحق، مستمسكين بسنّة المصطفى ﷺ، ذابّين عنها، عاملين لإحياء ما أمات النّاس منها، لا يضرّهم المخالف، ولا يصدّهم الحاقد المعارض، ولا يثنيهم الجاحد المعاند، ولا يفلّ في عزيمتهم المرواح المتخاذل، ولا يُضعف من همَّتهم المتخلّف الخانع، يبذلون في سبيل ذلك كلّ غال حتّى يأتي أمر الله وهم على هذا النّهج، فيفوزون برضوانه عزّ وجلّ، وما ذلك إلا لأنّ الاشتغال بالسّنّة والتزامها من أفضل القربات إلى الله عزّ وجلّ، فإنّ السّنّة هي المبيّنة للقرآن الكريمَ، تفصيلاً لمجمله، وتوضيحاً لمبهمه، وشرحاً لغامضه، وتخصيصاً لعامّه، وتقييداً لمطلقه، وردّاً لبعض ما تشابه منه إلى محكمه، بالإضافة إلى ما تفرّدت به من الأحكام الشّرعيّة الكثيرة التي لم يرد بها الكتاب العزيز.

ولقد استوى في الاهتمام بالسّنّة النّبويّة المطهّرة، والحرص على سلامتها من الدّخيل، أهلُ المشرق والمغرب من سلفنا الصّالح، وخدموها قدر طاقتهم وإمكاناتهم، بدرجات متفاوتة، وقد نالت جهود المشارقة في ذلك حظّها من الدّراسات المتعلّقة بتدوينها، وتحقيق تراثها ونشره، والتّعريف بأعلامها، وإن كانت هي أيضاً لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحوث المتعلّقة بتأريخ مراحلها، وبيان مناهج بعض مدارسها؛ للاستفادة منها، وقد بدأت تظهر في هذا العصر بعض الدّراسات المتعلّقة بذلك[1].

أمّا جهود أهل إفريقيّة ـ وعاصمتها القَيْرَوَان ـ فإنّها لم تنل من ذلك شيئاً يُذكر وخاصّة في العلوم الشّرعيّة، وبصفة أخصّ في مجال السّنّة وعلومها، وتعتبر المرحلة الأولى ـ التي تمتد من الفتح الإسلاميّ إلى خراب مدينة القَيْرَوَان سنة ٤٤٩ هـ ـ أكثر المراحل هضماً لجانبها من حيث العنايةُ بدراستها، بالرّغم من ثرائها بالعلم، وأهمّيّتها البالغة؛ لأنّها تمثّل أساس توجّهات الأفارقة العلميّة والدّينيّة، وكلّ ما جاء بعدها إنّما هو مبنيّ عليها.

ومن خلال حديثي مع بعض الباحثين الذين لهم بعض اهتمام «بالإفريقيّات» تبيّن لي أنّ سبب تخوّف الباحثين من خوض غمار هذه المرحلة وتجليتها، وخاصة في المجالات الشّرعيّة، هو قلّة المادّة المتوافرة حولها، بسبب فقدان معظم ما ألّف فيها من المصنّفات، وبخاصّة المتعلّقة منها بعلوم السّنّة، بالإضافة إلى ندرة المختصّين في الحديث النّبويّ وعلومه من المعاصرين ببلادنا.

(١) ممّن رأى ضرورة التّدوين لمدارس الحديث، والتّأريخ لها، ودارسة مناهجها في كلّ بلد من بلاد الإسلام، ودعا إلى ذلك وألّف فيه: الدكتور محمد رشاد خليفة، وهو من أساتذة الحديث بجامعة الأزهر. انظر مقدّمة كتابه مدرسة الحديث في مصر د. ت، كما تناول الشّيخ محمد أبو زهو في كتابه «الحديث والمحدّثون» المراحل التي مرّت بها السنّة في مختلف بلاد الإسلام، غير أنّه لم يتعرّض لذلك بالنّسبة لبلاد إفريقيّة والمغرب والأندلس.

وقد رأيت اقتناع جميع من تحدّثت معهم بأهمّيّة هذه الدراسة، وتشوّفهم لظهورها، وتمنّيهم لو يقوم بذلك قائم، فرأيت أن أنبري لسدّ هذا النّقص مستعيناً بالله عزّ وجلّ:

إبرازاً لدور القَيْرَوان وإفريقيّة في خدمة السّنّة النّبويّة المطهّرة من جوانبها المختلفة رواية ودراية وتصنيفاً في ذلك.

وتقديراً لجهود من كان فيها من العلماء، الذين عملوا جاهدين على نشر السّنّة، وإحيائها، وغرسها في تلك الرّبوع، فكانوا سبباً في التزام أهلها للسّنّة وبقائهم في حظيرة الجماعة.

وخدمة للتراث الإسلامي في بلادي العزيزة تونس.

وتذكيراً لشبابنا بعظمة سلفهم الصّالح، وما كابدوه من المشاقّ من أجل الحفاظ على سنّة المصطفى ﷺ.

واستنهاضاً لهمم الشباب بعرض المجهود العظيم الذي بُذل من أجل أن يصلنا الإسلام صافياً نقيّاً، عسى أن يعود بسبب ذلك منبهرٌ بحضارة الغرب المادّيّة الزّائفة إلى رشده، ويرجع ضالٌّ عن غيّه، ويعتزّ مبتورٌ بأصوله، ويجد تائهٌ هويّته.

ولمّا كانت القَيْرَوان هي المركز العلميّ والعاصمة السّياسيّة والدّينية لإفريقيّة، وموضع تجمّع أهل العلم في تلك الرّبوع من الفتح الإسلاميّ إلى منتصف القرن الخامس ـ كما سيأتي تفصيله في التّمهيد[1] ـ رأيت أن تكون الرّسالة متعلّقة بها.

ومن أجل كلّ ذلك كان اختيار هذا الموضوع بحثاً لنيل درجة الماجستير في السّنّة وعلومها بكلّيّة أصول الدّين بالرّياض بعنوان[2]: «الحديث والمحدّثون بالقَيْرَوان من سنة ٥٠ هـ إلى سنة ٤٤٩ هـ».

(١) انظر: ص٣١، ٤٣، ٤٤، ٤٨، من هذه الرسالة.

(٢) رأيت عند الطباعة تغيير العنوان إذ إن البحث قد أثبت وجود مدرسة حديثية مكتملة العناصر.